العقوبات، ولو تطلّب الأمر استخدام الفيتو في مواجهة قرارات كهذه، الاّ اذا حدث استفزاز معيّن» (ص ٣٩ ـ ٤٠). وذكر الكاتبان ان السيناتور دول حين عاد الى واشنطن، نقل كلاماً الى بوش وصف فيه صدام حسين «بنموذج القائد الذي تستطيع الولايات المتحدة [الاميركية] التأثير عليه وتوجيهه اذا أرادت ذلك» (ص ٤١). وحين طُرحت في الكونغرس مسألة فرض عقوبات اقتصادية على العراق، ردّاً على تهديده اسرائيل، قال مساعد وزير الخارجية الاميركية، كيلي، الى لجنة الشؤون الخارجية التابعة للكونغرس: «ما تزال الادارة الاميركية ترفض العقوبات، لأنها تؤذي المصدّرين الاميركيين وتزيد العجز التجاري؛ ولا أرى كيف يمكن لاجراءات كهذه ان تسمح بتهدئة العراق» (ص ٤٢). وخلص الكاتبان الى نتيجة مفادها ان «العمى وفقدان البصيرة يطبعان نظرة واشنطن الى صدام حسين، على انه شخصية ضيّقة الأفق ومحدودة... ولم تكن توجد شخصية واحدة في واشنطن تفهم بأن ضيق الأفق هذا هو مصدر الخطر، لأن صدام يجهل القواعد الدولية وحدودها، ويمكن ان يطبّق، على الصعيد العالمي، الاسلوب نفسه الذي يحكم بواسطته العراق» (ص ٤٣ ـ ٤٤).

بالمقابل، هل كان الرئيس صدّام يبحث عن الصراع مع واشنطن؟ أم كان راغباً في صداقتها؟ لقد استعرض الكاتبان فقرات مطوّلة من لقاءات صدام حسين مع مسؤولين اميركيين. ومن أهمّ تلك اللقاءات لقاؤه مع سفيرة الولايات المتحدة الاميركية لدى العراق، ابريل غلاسبي. قال صدّام لغلاسبي: «لقد قرأت تصريحات أميركية عديدة عن أصدقاء اميركا في المنطقة. من حق الجميع ان يختاروا اصدقاءهم، ولا اعتراض لدينا على ذلك. ولكنكم تعرفون جيداً انكم لستم الذين حميتم هؤلاء الاصدقاء خلال الحرب مع ايران» (ص ٦٩). وتابع صدّام: «أهكذا يُكافأ العراق لأنه ساهم في استقرار المنطقة وقام بحمايتها من مدّ لا مثيل له؟ ثمّ ماذا يعني أيضاً القول: 'سوف يحمي الاميركيون أصدقاءهم؟' انه، في الحقيقة، يعني موقفاً عدائياً تجاه العراق؛ وهو الذي شجّع الكويت والامارات العربية على تجاهل حقوقنا، بالاضافة الى المناورات والتصريحات التي تردّدونها» (ص ٧٠). وأضاف: «نحن نفهم مصلحة الولايات المتحدة [الاميركية] في الحفاظ على تدفّق النفط... ان الولايات المتحدة [الاميركية] ترغب في امدادات نفطية متواصلة. ولهذه الرغبة تبريرات نأخذها بعين الاعتبار. ولكن عليها الاّ تستخدم في سبيل ذلك طرقاً وأساليب تقوم هي نفسها بادانتها في مناطق أخرى من العالم... اذا لجأتم الى الضغوط، فسوف نردّ بضغوط مماثلة... نحن لا نضع الولايات المتحدة الاميركية، أيضاً، في خانة الأعداء. نحن نضعها في الموقع الذي نريده لأصدقائنا؛ ونبذل الجهد كي نكون في عداد أصدقائها؛ ولكن تصريحاتكم المتكررة تظهر، جليّاً، ان أميركا هي التي لا تريد صداقتنا. حسناً، للاميركيين حرية اختيار الاصدقاء... نحن لا نطلب منكم حل مشاكلنا. لقد قلت ان المشاكل العربية تُحل بين العرب؛ والمطلوب منكم عدم تشجيع أحد على فعل يتعارض مع مكانته... نحن نريد الصداقة؛ ولكننا لا نجري وراءها» (ص ٧٠ ـ ٧٣). ردّت السفيرة غلاسبي على الرئيس العراقي بالقول: «عندي تعليمات شخصية من الرئيس بضرورة التفتيش عن أفضل العلاقات مع العراق... ولا أقول فقط ان الرئيس بوش يرغب في أفضل العلاقات وأوسعها مع العراق، وانما يريد مساهمتكم، أيضاً، في ازدهار الشرق الاوسط وسلامه. ان الرئيس بوش رجل ذكي، ولن يذهب الى حدّ اعلان الحرب الاقتصادية على العراق» (ص ٧٧). ورأى الكاتبان في كلام غلاسبي ضوءاً أخضر للعراق كي ينفّذ تهديداته ضد الكويت. فاجتماعه مع غلاسبي حدث في ١٩٩٠/٧/٢٥، والأزمة مع الكويت في ذروتها وعشية دخول القوات العراقية اليها.

ولم تتبدّل لغة الخطاب السياسي العراقي مع المسؤولين الاميركيين حتى بعد سيطرة القوات العراقية على الكويت. فحين اجتمع الرئيس صدام حسين مع القائم بالأعمال الاميركي في بغداد، جوزف ولسون، قال صدام: «لماذا تريدون ان تكونوا أعداء لنا؟ لقد ارتكبتم ما يكفي من أخطاء باضعاف حلفائكم في المنطقة الذين فقدوا أي اعتبار بنظر شعوبهم؟ ومن وجهة نظرنا، سيمكنكم ان تدافعوا أكثر عن مصالحكم في هذه المنطقة من العالم، في حال اعتمادكم على نظام ذي نزعة وطنية وواقعية منه [في اعتمادكم] على السعوديين» (ص ١٧٥). فهل كان الرئيس صدام حسين يبحث عن دور الوكيل في منطقة الخليج لدى الادارة الاميركية؟ أم انه كان يبحث عن دور يتناسب وقدرات بلده؟ لقد استعرض الكاتبان فقرات من كلمة صدام حسين في قمّة مجلس التعاون العربي التي عُقدت في عمّان، في ١٩٩٠/٢/٢٣. قال صدام: «ان البلد الذي سوف يمارس نفوذاً حاسماً على الخليج